ومن أحسن الاغذية النافعة للحميات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق أجزائه الاخرى بسبب الحمى. وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها . هـذا وإن عسل النحل الذي تجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ؟

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشقها عبارة واجودها اختيارا للآلئ الكلام المنثورة والمنظومة ، واطبعها لملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لامام أئمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهاك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوعٍ من الحكمة وصنفٍ من الادب — سببا يدعو الى تأليف ما كان فيهِ مشتتاً ، ومعنى يحدُو[1] على جمع ما كان متفرقا ، ومتى أغفل حملةُ الادب وأهلُ المعرفة تمييزَ الاخبار ، واستنباط الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار الاوائل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ؛ ولذلك قيل :

لا يزال الناس بخير ما بقيَ الاوّل يتعلم منه الآخر

وان السبب على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ،

(١) يحدو — حداه على الامر بعثه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها، أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع [١] الى الاوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنابه؛ ولم يزل عظيم الشان، جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها [٢] وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين الإبل الى أعطانها، [٣] وكان كما قال الشاعر:

اذا ماذكرت الثغر فاضت مدامعي　　وأضحى فؤادي نهبة للهماهم [٤]
حنيناً الى أرض بها اخضر شاربي　　وحلت بها عني عقودُ التمائم [٥]
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه　　وأرعاهم للمرء حق التقادم

وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه　　ذرا عقدات الابرق المتقاود [٦]

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه
٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه
٣ الاعطان أوطان الابل ومباركها عند الماء، واحدها عطن
٤ الهماهم الهموم
٥ التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير
٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، وقال في معجم البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه　　ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماءَ الذي شربت به سليمى وقد مل السُّرى كل واخد[١]
وألصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاساود[٢]

فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها توّاقة[٣] وقالت الهند : حرمة بلدك عليك ، كحرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت جنين — وعذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع حمى أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليه بلد رضعت ماءه ، وطعمت غذاءه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره[٤] ، وداره مهده ، والغريب النائي عن بلده ، المنتحي عن أهله ، كالثور النادّ[٥] عن وطنهِ ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ؛ وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل رضاعه ، كالعير[٦] الناشط[٧] عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ، ولكل رام دريئة[٨] ؛ وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقةً وحفاوة[٩] ؛ وقال آخر : أحق

١ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال جمل واخد ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخد يخدو وخداً ووخدانا
٢ الاساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات
٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق
٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها
٥ ند البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شاردا
٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا
٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط ـ خارج من أرض الى أرض
٨ الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن
٩ الحفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بنزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه، وقال آخر: اذا كان الطائر يحن الى أوكاره فالانسان أحق بالحنين إلى أوطانه ؛ وقالت الحكماء : الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة[1] وطهارة الرشدة من كرم المحتد[2] ؛ وقال آخر : ميلك الى مولدك ، من كرم محتدك ؛ وقال آخر : عسرك في دارك، أعز لك من يسرك في غربتك ، وأنشد

لقرب الدار في الإقتار خير　　من العيش الموسع في اغتراب[3]

وقال آخر : الغريب كالغرس الذي زايل أرضه، وفقد شربه ، فهو ذاوٍ[4] لا يثمر ، وذابل لا ينضر . وقال بعض الفلاسفة : فطرة الرجل معجونة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه ، فان الطبيعة تتطلع لهوائها ، وتنزع الى غذائها ؛ وقال أفلاطون : غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها ؛ وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أرضه — كما تتروح الارض الجدبة ببلل القطر

والقول في حب الناس الوطن، وافتخارهم بالمحال قد سبق ، فوجدنا الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس : لو قنع الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق ؛ وترى الاعراب تحن الى البلد الجدب والمحل القفر والحجر الصلد ؛ وتستوخم[5] الريف

١ الرشدة صحة النسب وهي بكسر الراء ، والفتح لغة
٢ المحتد الاصل ، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحاتد
٣ الاقتار مصدر أقتر الرجل اذا افتقر　٤ ذاو — ذابل
٥ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم

أتجلين فى الجالين أم تتصبري على ضيق عيش والكريم صبور[1]
فبالمصر برغوث وحمى وحصبة وموم وطاعون وكل شرور[2]
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإكام تمور[3]

وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب — فاذا وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى حن الى وطنه ومستقره .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه . ولكن توخينا تدوين أحسن ماسنح من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق

ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أنِ اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوّى بين قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم. وقال تعالى (وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الاوّل : عمر الله البلدان بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ، وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفتنا عن الاوطان ، وقطعتنا عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخيل أجزعها من السّوط ،

---

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحمى

٣ الركام السحاب المتراكم بعضه فوق بعض ـ والاكمة تل ، وقيل شرفة كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ، والجمع اكم وجمع الاكم اكام مثل جبل وجبال ـ ومار الشيء تحرك بسرعة

وأكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدُّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدُّها حنينا الى أوطانها، وأكرم المهارى أشدها ملازمة لأمها ، وخير الناس آلفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل بره لاخوانه ، وحنينه الى أوطانه ، ومداراته لاهل زمانه. واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال حِسلَ[1] فلاة وحَسوَ[2] قلات[3] ؛ وسئل أخر فقال : مخضا[4] رَوِيا، وضبا مشويا ، وسئل آخر فقال : ضبا عينا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك ؛ وقيل الغربة كربة، والقلة ذلة. وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبدا　　إن الغريبَ ذليل حيثما كانا

وقال آخر : لا تنهض عن وَكرك فتنغصك الغربة ، وتضيمك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضا بها قوابلك[5] — ولا تشك بلدا فيه قبائلك ؛ وقال أصحاب القيافة[6] في الاسترواح : اذا أحست النفس بمولدها تفتحت مساماها فعرفت النسيم. وقال آخر يحن اللبيب الى وطنه، كما يحن النجيب[7] الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لارضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين رکامها، ورضيع غمامها ، فضنتني أحشاؤها، وأرضعتني أحساؤها[8] ؛ وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المخض والمخيض ماخض من اللبن وأخذ زبده
٥ القوابل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة
٦ القائف الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة ٧ النجيب من الابل القوي الخفيف السريع
٨ الاحساء جمع حسي وهي سهل من الارض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم [١] الذي ثكل [٢] أبويه - فلا أم ترأمه [٣] ولا أب يحدب عليه [٤]؛ وقالت أعرابية اذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه وان عالوا به كل مركب
اذا كنت في قوم عدًا لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب [٥]

وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة اذا كانت هديا في غير أهلها تفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتعهد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة

لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجح [٦]

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ الثكل فقدان المرأة ولدها ٣ رئمت الناقة الولد عطفت عليه ٤ يحدب عليه يعطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء والشد البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم للجمع. وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر يعقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن نضلة الجحواني من بني أسد - والعدى الغرباء والعدى أيضا الاعداء - والاكل والعلف هنا مثلان مضروبان للموافقة وترك المخالفة - وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم - وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لعمري لقوم المرء خير بقيـة عليـه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان قصرا وأرضها فما ظفرت كفي ولا طاب مشربي

ثم أفاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف الاذن - والاسيل من الخدود الطويل المسترسل. وسجح الخد كفرح سهل ولان وطال في اعتدال. وقل لحمه وقال في اساس البلاغة وجه اسجح مستوي الصورة ورجل اسجح الخدين وقد سجح قال ذو الرمة وقد انشد البيت